

أثر القرآن الكريم على حافظه وتاليه

إعداد

د. محسن سميح الخالدي

جامعة النجاح الوطنية

كلية الشريعة/ قسم أصول الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء، ففتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور إلى صراط العزيز الحميد، والصلاة والسلام على نبي الهدى وإمام التوحيد، وبعد.

فهذا بحث يتحدّث عن: (أثر القرآن الكريم على حافظه وتاليه)، فأثّره القرآن الكريم على الحافظ والتالي عديدة، وثماره مديدة، منها ما يمكن لنا إدراكه، ومنها ما لم نستطع له دركاً، ومن الآثار ما هو مشاهد محسوس، ومنها ما هو مأمول منظور.

وقد استعنت ببحثين سبق لي كتابتهما في هذا المجال، وهما: تأثير القرآن الكريم في نفوس سامعيه.¹

وبحث: موانع تأثير القرآن الكريم في النفوس وعلاجها²

فلقد بهر القرآن الكريم عند نزوله قلوب سامعيه ممن فقهوا لغته، فملك عليهم نفوسهم، وأذعنوا لبلاغته وفصاحته، وعلموا أن لا طائل من معارضته، وتلذذوا بالاستماع إليه، وقد سجلت لنا آيات القرآن الكريم، وكتب السير ما أحدثه القرآن من أثر في نفوس سامعيه، قال تعالى: "قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا" [الإسراء: 107-108].

وكم من معاند انقلب حاله عند سماعه للقرآن، فأصبح مؤمناً، وتحدثنا كتب السير أيضاً عن صحابة لم يتمالكوا أنفسهم من شدة البكاء والعيول عند القراءة والترتيل، فإذا كان هذا الأثر على السامع، فكيف بالحافظ والتالي؟.

¹ بحث محكم ومنشور في مجلة الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، (مجلة الإسلام في آسيا) مجلد (5) العدد (1) / 2008.

² بحث محكم في مجلة جامعة النجاح الوطنية للعلوم الإنسانية، مجلد (25)، عدد (5) 2011.

ولعل أول من نبه إلى تأثير القرآن الكريم كوجه من وجوه الإعجاز هو الخطابي في رسالته: بيان إعجاز القرآن حيث قال: "قلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن، منظومًا ولا منثورًا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفُتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمتهم، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانًا"³.

وفيا يأتي أثر القراءة والحفظ على القارئ والتالي:

1- القراءة والحفظ يزيدان من الخشوع ويربيان النفس على التذلل والخضوع:

للقرآن الكريم أثره الكبير في نفوس محبيه وشائنيه، غير أن محبيه لا يملكون منع أثره على نفوسهم، فهم يستحضرون معانيه، ويشعرون بهيبة الله العظيم حين يخاطبونه بكلامه.

فعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: "قلت لجدي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله"⁴.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا صلى في بيته يقف عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم يتعجبون منه ينظرون إليه، وكان رجلاً بكاء لا يملك دمعته حين يقرأ القرآن الكريم⁵.

³ الخطابي، أبو سليمان، حمّد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: 388هـ)، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول، دار المعارف - مصر (ط2/1387هـ) (ص: 70).

⁴ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: 458هـ)، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط1/1410هـ)، تحقيق محمد السعيد زغلول، فصل: في البكاء عند قراءة القرآن، (2/365).

⁵ البيهقي، شعب الإيمان، (2/364).

قال السمرقندي: أفلا يتدبرون القرآن يعني أفلا يتفكرون في مواعظ القرآن، ليعتبروا بها، ويقال: أفلا يتفكرون في معاني القرآن فيعلمون أنه من عند الله تعالى⁶.

وتدبر القرآن بحاجة إلى روية وتمحيص للمعاني، فقد حُكي عن أبي سليمان الداراني (أحد رجال التصوف، ت: 205 هـ) أنه قال: "إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليالٍ، أو خمس ليالٍ، ولولا أنني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها"⁷.

وجاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد الله: "هَذَا كَهَذِّ الشَّعْرِ إِنْ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفْعٌ"⁸. وقال ابن مسعود: "لا تنتروهم نثر الرمل، ولا تهذوهم هذ الشعر قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة"⁹.

إن الحافظ والتالي لكتاب الله تعالى يدرك الغاية من إنزاله، ويعلم أن تدبر القرآن الكريم فريضة شرعية، ويمثل قول الله تعالى: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ"، (ص: 29).

2- حفظ القرآن وحسن تلاوته يشجعان على قيام الليل:

إن التغني بالقرآن محبوب مطلوب: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنّى بالقرآن، وقال: صاحب له، يُريد يجهر به"¹⁰(4).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة مرفوعاً: "ليس منّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وزاد غيره: يجهر به"¹¹.

⁶ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت: 375 هـ)، تفسير السمرقندي الموسوم بـ(بحر العلوم)، دار الكتب العلمية- بيروت، (ط 1/1993م)، تحقيق وتعليق الشيخ علي معوض وآخرين (1/371).

⁷ الغزالي، إحياء علوم الدين (1/249).

⁸ مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: ترتيل القراءة واجتتاب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، رقم: (822)، (1/563).

⁹ أخرجه البغوي، أبو محمد، حسين بن مسعود الفراء (ت: 516 هـ)، تفسير البغوي الموسوم بـ(معالم التنزيل)، دار المعرفة-دمشق، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك (4/407)، وأوده ابن كثير، في تفسيره (4/435)، والطبلاوي، الشمعة المضية (1: 131).

¹⁰ البخاري، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب: الوصاة بكتاب الله عز وجل، رقم (5023)، (8/686).

¹¹ المرجع السابق، كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ)، رقم (7527)، (13/510).

وأخرج مسلم في صحيحة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت زمماراً من مزامير داود"¹² فالتمكن من الحفظ والتلاوة يساعداً المرء على قيام الليل بالقرآن، قال عبد الله بن مسعود: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبجزئه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً سكيناً"¹³. وفي ظلمة الليل البهيم خلوة للصالحين، وفرصة للمناجاة بالقرآن الكريم، وفي قيام الليل بالقرآن لذة لا يجد طعمها إلا العابدون.

قال أحمد بن أبي الحواري _أحد العابدين_: "إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية آية فيحار عقلي فيها وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسيجهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتكلمون كلام الرحمن!، أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا ووفقوا"¹⁴.

3- إنَّ حافظ القرآن وتاليه يتخلق بأخلاق القرآن، ويتأدب بتعاليم الرحمن:

إنَّ خير أسوة لنا في التخلق بأخلاق القرآن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قالت عائشة رضي الله عنها حين سألتها قتادة عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان خُلُقَه القرآن"¹⁵

وعن سعد بن هشام بن عامر أنه سألتها ذات السؤال: فقالت: "ألستَ تقرأ القرآن، قال: قلت بلى: قالت: فإن خُلُق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"¹⁶.

¹² مسلم، صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم (793)، (546/1)، وفي صحيح البخاري بنحوه كتاب فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة للقرآن رقم (5048)، (710/8).

¹³ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (35584)، (231/7)، وابن حنبل، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر، (ت: 287هـ)، الزهد، دار الريان للتراث - القاهرة (ط2/ 1408هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد (162/1)، وأبو نعيم في الحلية، (130/1)

¹⁴ أبو نعيم، حلية الأولياء (22/10).

¹⁵ أخرجه الطبري في تفسيره، (18/29).

¹⁶ أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، رقم (746)، (512/1)، وأحمد في مسنده، رقم (24645)، ورقم (25341)، (91، 163/6)، أبو شامة، المرشد الوجيز، (ص: 205).

والمعنى أنه عليه السلام كان يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه¹⁷.

وقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم ليكون كتاباً للعلم والعمل معاً، فيتخلق القارئ والحافظ بهما جميعاً، قال الفضيل بن عياض: "إنما نزل القرآن ليعمل به ... أي ليحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه"¹⁸.

ومن هنا فالقرآن إما أن يكون حجة لنا أو علينا، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم: "... والقرآن حجة لك أو عليك"¹⁹ والمعنى أن من انتفع بتلاوته وبهديه وعمل بما جاء فيه فهو حجة له، وإلا فهو حجة عليه.

فعلى المرء أن يفرغ قلبه من الهوى ليحل فيه خلق القرآن، فإن الأعين التي تنظر إلى الحرام، والآذان التي تستمع إلى الحرام، والألسن التي تُلقي الحرام وتتلقاه، كل هذه أدوات متسخة ليس لها أن تتذوق حلاوة القرآن، ولا أن تكون أوعية له، فإذا اتسخت أدوات التلقي وتلبست بالمعاصي فأنتى لها فهم القرآن وهدى القرآن؟، وأنى لها أن تتمثله وتسير بهديه، وتطبق أحكامه؟.

عن عبد الله بن مسعود: "إنما هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره"²⁰. فإذا كانت القلوب أوعية القرآن شع نور القرآن في وجه تاليه وحافظه، وتأثر سلوكه واستقام عمله.

4- الحفظ والتلاوة يزيدان في الطمأنينة والسكينة، ويدفعان التوتر والقلق.

فإذا تحقق للقارئ والتالي لكتاب الله حسن التدبر، فإنه يزرق الطمأنينة في حياته، ويزول عنه القلق والتوتر، يفهم هذا من قول الله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"، [الرعد:28] ومما لا شك فيه أن القرآن أفضل الذكر قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ "، [النحل:44].

¹⁷ انظر: ابن رجب، زين الدين أبا الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين، الحنبلي (ت: 795)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، مؤسسة الرسالة - بيروت (ط7/ 1417هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط / إبراهيم باجس، (ص:148).

¹⁸ البغدادي، أحمد بن علي، أبو بكر (ت:463هـ)، اقتضاء العلم العمل، المكتب الإسلامي - بيروت، (ط4/1397هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (ص:76).

¹⁹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب فضل الوضوء رقم (223)، (1/203).

²⁰ ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت: 235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، دار الكتب العلمية - بيروت، ضبط وترقيم: محمد عبد السلام شاهين، (7/106).

وقصة أسيد بن حضير خير شاهد على تنزل الملائكة عند قراءة القرآن، فعن أبي سعيد الخدري: أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربه، إذ جالت فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى فقرأ، ثم جالت أيضا، فقال، أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقامت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها. قال: فغدوت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: اقرأ، ابن حضير. قال: فقرأت. ثم جالت أيضا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: اقرأ، ابن حضير! قال: فقرأت. ثم جالت أيضا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: اقرأ، ابن حضير! قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبا منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة، فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم.²¹

5- حفظ القرآن وحسن تلاوته يكسبان المرء الرفعة والمكانة في الدنيا:

فإن الناس في مساجدهم يقدمون لإمامتهم من عرف بحفظ كتاب الله، وحسن تلاوته، وهذا هو هدي النبي عليه السلام، فعن أبي مسعود الأنصاري، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»²².

ولأجل حفظ القرآن الكريم تقدم عمرو بن سلمة الجرمي، وهو صغير ابن ست أو سبع سنين، ليؤم قومه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان أكثرهم حفظاً للقرآن الكريم.

فقد أخرج البخاري عنه أن قومه حين أرادوا أن يمتثلوا أمر النبي عليه السلام: " وليؤمكم أكثركم قرآنا". قال: " فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني، لما كنت أتلقي من الركبان، فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة، كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطوا عنا أست قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص"²³

²¹ رواه البخاري (5018) من حديث أسيد، ورواه مسلم (796) من حديث أبي سعيد.

²² صحيح مسلم رقم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، (673) (1/ 465).

²³ صحيح البخاري، كتاب: كتاب المغازي، باب: منه، رقم (4302) (5/ 151).

ومن الأحاديث التي تشير إلى فضل قارئ القرآن ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن، مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر²⁴

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»²⁵.

والمقصود بذلك: " توقيره (و) إكرام (حامل القرآن) أي حافظه وقارئه (غير الغالي فيه)، والغلو تجاوز الحد، يعني غير متجاوز الحد في التجويد وأداء الحروف، (والجافي عنه) أي التارك لتلاوته"²⁶.

حتى إن تقديم حافظ القرآن يكون عند الموت إذا اقتضت الحاجة تقدم أحد على آخر، فقد كان صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقدم في اللحد إلى جهة القبلة أكثرهم حفظاً للقرآن إكراماً له،

وفي هذا دلالة على مزيد شرف حامل القرآن الكريم.²⁷

6- علو مكانة الحافظ والتالي يوم القيامة:

عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران»²⁸.

وعن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان

²⁴ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، رقم: (797)، (1/ 549)

²⁵ رواه أبو داود (4843)، ورواه البخاري في "الأدب المفرد" (357)، وحسنه الألباني في "المشكاة" (4972).

²⁶ بذل المجهود في حل سنن أبي داود (263/ 13).

²⁷ ينظر: المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (296/ 8).

²⁸ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن، والذي يتتعتع فيه رقم: (798)، (1/ 549).

يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما،²⁹

وهناك أحاديث كثيرة بينت عظم الأجر والثواب لقارئ القرآن، ومن ذلك ما رواه عقبة بن عامر، قال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة، فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم، ولا قطع رحم؟»، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»³⁰.

7- حفظ القرآن وتلاوته حصن من الشيطان، وحفظ من الرحمان:

قال صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة". قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة،³¹

وعن عبد الرحمن بن يزيد، قال: لقيت أبا مسعود عند البيت، فقلت: حديث بلغني عنك في الآيتين في سورة البقرة، فقال: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه»³².

وقد تعددت أقوال العلماء في معنى كفتاه: فقيل: أغنتاه عن قيام الليل، وقيل: وقتاه شر كل شيطان، وكل ذي شر، وقيل: كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة، وقيل: معناه حسبه بهما فضلاً وأجزاً، وقيل: تكفيانه كل سوء وتقيان من المكروه، وقيل: إنهما أقل ما يجزئان من القراءة في قيام الليل لغير القارئ³³.

²⁹ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم (804) (1/ 553)

³⁰ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (1/ 552)

³¹ المرجع السابق كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم (804) (1/ 553).

³² المرجع السابق (1/ 554).

³³ ينظر: القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (578 - 656 هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، (ط1/1417هـ)، (2/

ومن الأحاديث التي تشهد لهذا المعنى:

ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة أن الشيطان قال له: " إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة: 255]، حتى تختتم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح" قال أبو هريرة:

" فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما فعل أسيرك البارحة»، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: «ما هي»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختتم الآية: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة: 255]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة»، قال: لا، قال: «ذاك شيطان»³⁴.

8- العصمة من الدجال:

عن أبي الدرداء، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»³⁵.

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال. وفي الرواية الأخرى: من آخر الكهف. واختلف المتأولون في سبب ذلك؛ ف قيل: لما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يهله ذلك، فلا يفتتن به. وقيل: لما في قوله - تعالى -: {أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء} - إلى آخر السورة - من المعاني المناسبة لحال الدجال، وهذا على رواية من روى: من آخر الكهف. وقيل: لقوله - تعالى -: {قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه}؛ تمسكا بتخصيص

(435)، وابن رسلان، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى: 844 هـ)، شرح سنن أبي داود، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، (ط1/1437)، (6/704).

³⁴ صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازة الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، رقم (2311)، (3/101).

³⁵ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة (1/555).

البأس بالشدّة، وهو مناسب لما يكون من الدجال من دعوى الإلهية، واستيلائه، وعظيم فتنته، ولذلك عظم النبي - صلى الله عليه وسلم - أمره، وحذر منه، وتعوذ من فتنته. فيكون معنى هذا الحديث: أن من قرأ هذه الآيات وتدبرها، ووقف على معناها؛ حذر، فأمن من ذلك. وقيل: هذا من خصائص هذه السورة كلها، فقد روي: من حفظ سورة الكهف، ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه. وعلى هذا تجتمع رواية من روى: من أول سورة الكهف، ورواية من روى: من آخرها، ويكون ذكر العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها.³⁶

9- في حفظ القرآن وتلاوته زاد من المعرفة والعلم:

فإن القرآن الكريم فيه قصص السابقين، ونبأ اللاحقين، وموعظة المتقين، وفيه من الإشارات العلمية ما لا يعد ولا يحصى، ففي تشريع القرآن إعجاز، وفي إخباره عن الماضين إعجاز، وفي نبأه عن التالين إعجاز أيضا.

ومن خلال الحياة العملية وملاحظة أوضاع الحفظة؛ فإنه يتبين أن الحفظ ينعكس إيجابا على مستوى التحصيل العلمي لدى الطلبة في مجالات العلوم الأخرى، فالقرآن يفتح المدارك ويوسع الأفق، في حين أن من يشغل نفسه من الطلبة في الملهايات ينعكس انشغاله سلبا على مستوى التحصيل الدراسي.

10- في حفظ القرآن وتلاوته استثمار للوقت، وقتل للفراغ المفضي للذنوب والملل:

فالحفظ يبقي القلب معلقا مع الله، ويشغل وقت التالي بذكر الله، وفي هذا بعد عن الشيطان، لأن من ابتعد عن الذكر اقترب من الشيطان، قال تعالى: "وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيُصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ"، [الزخرف: 36-38].

³⁶المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (2/ 439).

ومن هنا فإن استثمار الوقت بصحبة القرآن تقضي على السامة والملل، وتتجي من مصائد الشيطان ومكائده.

11- في حفظ القرآن وتلاوته رقية وشفاء :

في حديث أبي سعيد الخدري خير دليل على هذا، فقد أخرج البخاري عنه، قال: كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية، فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية -أو كنت ترقى؟ - قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئا حتى نأتي - أو نسأل - النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «وما كان يدريه أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لي بسهم»³⁷

والقرآن الكريم شفاء لصدر حافظه وتاليه، قال تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا"، [الإسراء: ٨٢].

لقد جعل الله هذا الكتاب للحافظ والقارئ إماماً، وهادياً في كل طريق يريد سلوكه، وكلما أشكل عليه أمر في سيره رجع إليه، فاقتبس من أنواره، فكان له كالغذاء الصالح لحفظ الصحة.

فكما أن الدواء يحفظ صحة الجسم، كذلك الهداية والعرفان المستفادان من القرآن، كل منهما صالح لحفظ صحة الروح، وكما أن الدواء لا يجلب نفعا إلا إذا كانت الصحة حاصلة، كذلك هدى القرآن، لا ينفع إلا إذا كانت العقول سليمة، وأما العقول المريضة، فإن دواء الصحة لا ينفعها.³⁸

إن القرآن (شفاء) للقلوب من أمراضها، من شك، ونفاق، وزيف، وميل، وضعف (ورحمة) يحصل بها الإيمان، وتوجد بها الحكمة، وتتحقق بها السعادة³⁹.

12- في حفظ القرآن شجاعة وإقدام:

"روى ابن المبارك أن لواء المهاجرين كان مع سالم، ف قيل له في ذلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن فررت، فقطعت يمينه، فأخذه ببساره، فقطعت فاعتنقه إلى أن صرع"⁴⁰.

³⁷ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل الفاتحة، رقم: (50078)، (6/ 187).

³⁸ تفسير ابن بدران = جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار (ص: 53).

³⁹ الأساس في التفسير (6/ 3106).

والذي أهل سالما لهذا هو القرآن الكريم، فعن عائشة: قالت: سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - سالماً مولى أبي حذيفة يقرأ من الليل، فقال: "الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله"⁴¹

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين:

فإن حفظ القرآن الكريم له أثر عظيم على الحافظ والتالي، ومن أبرز هذه الآثار ما يأتي:

- 1- القراءة والحفظ يزيدان من الخشوع ويربيان النفس على التذلل والخضوع.
- 2- حفظ القرآن وحسن تلاوته يشجعان على قيام الليل
- 3- إن حافظ القرآن وتاليه يتخلق بأخلاق القرآن، ويتأدب بتعاليم الرحمن.
- 4- الحفظ والتلاوة يزيدان في الطمأنينة والسكينة، ويدفعان التوتر والقلق.
- 5- حفظ القرآن وحسن تلاوته يكسبان المرء الرفعة والمكانة في الدنيا.
- 6- علو مكانة الحافظ والتالي يوم القيامة.
- 7- حفظ القرآن وتلاوته حصن من الشيطان، وحفظ من الرحمان.
- 8- العصمة من الدجال:
- 9- في حفظ القرآن وتلاوته زاد من المعرفة والعلم.
- 10- في حفظ القرآن وتلاوته استثمار للوقت، وقتل للفراغ المفضي للذنوب والملل.
- 11- في حفظ القرآن وتلاوته رقية وشفاء.

⁴⁰ كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (9/ 12)، و ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (27/ 78).

⁴¹ ينظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (27/ 78)

12- في حفظ القرآن شجاعة وإقدام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. محسن سميح الخالدي/ جامعة النجاح الوطنية

كلية الشريعة/ قسم أصول الدين.